

## الفصل العاشر

### قبر على الطريق

لم تزل الغنائم والأسلاب والأسارى تتدفَّق على الثغور الإسلامية إثر كل صائفة وشتاءة، قد ازدحمت بها الأسواق وقلَّت فيها الرغبة، حتى لِيُبَاع مُطَرَفُ الْخَزِّ بِدَرَاهِمٍ، وتُشْرَى السَّبِيَّةُ مِنْ بَنَاتِ الْأُمَرَاءِ وَالسَّادَةِ بِدِينَارٍ، عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ السَّنِينَ مِنْ غَنَائِمِ الْحَرْبِ؛ مَا عَادَ بِهِ مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ قَائِدُ جَيْشِ الْمَغْرِبِ مِنْ غَنَائِمِ الْأَنْدَلُسِ.

هذا موكبه يدخل دمشق في سنة ٩٤ فيئذهل الوالدة عن ولدها ويُلْهِى الصَّبِيُّ عَنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ.

ذلك أمير الركب موسى بن نصير في وَشْيِهِ وَدِيْبَاجِهِ؛ يَتْبَعُهُ ثَلَاثُونَ غُلَامًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِ الْإِسْبَانِ عَلَى رِعْوِ سَهْمِ التَّيْجَانِ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ مُطَرَّزَةً بِخِيُوطِ الذَّهَبِ، مُرَقَّشَةً بِفُصُوصِ الْجَوْهَرِ، يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْمِائَاتُ مِنْ غِلْمَانِهِمْ وَخُدَمِهِمْ وَحَشَمِهِمْ، كَأَنَّهُمْ فِي مَوَكِبِهِمُ الْمُلُوكِي بَطْلِيَّةٌ<sup>١</sup>؛ يَتْبَعُ أَوْلَئِكَ عَجَلَاتٌ تَجْرُهَا الدَّوَابُّ وَلَا تَكَادُ، قَدْ رُصِّ عَلَيْهَا مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَحْمَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوْهَرِ وَالْيَاقُوتِ، وَالطَّنَافِسِ الْمَنْسُوجَةِ بِقَضْبَانِ الذَّهَبِ الْمَنْظُومَةِ بِاللُّؤْلُؤِ الْغَالِي وَالْجَوْهَرِ الْمُثَمَّنِ؛ يَتْبَعُ ذَلِكَ عَجَلَاتٌ أُخْرَى قَدْ تَفَسَّخَتْ مِنْ ثِقَلِ مَا تَحْمِلُ، عَلَيْهَا مَائِدَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ<sup>٢</sup> قَدْ نُقِلَتْ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ فِي طَلِيَّةٍ إِلَى عَاصِمَةِ الدَّوْلَةِ فِي دِمَشْقَ، وَكَانَتْ مِنْ خَالِصِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَعَلَيْهَا ثَلَاثَةُ

<sup>١</sup> طليطة: مدينة بالأندلس، كانت من عواصمهم.

<sup>٢</sup> يروي بعض أهل التاريخ أنَّ مائدة النبي سليمان كانت في طليطة، فلما فتحها العرب ملكوا هذه المائدة.